-

تعليم الأطفال في المجتمع البيزنطي

اعداد

سهر سمير فريد عواد

طالبة ماجستير بالكلية

اشراف

ا.د/ عبد العزيز محمد رمضان (استاذ التاريخ بكلية الاداب جامعه عين شمس)

د/ سهير محمد مليجي (مدرس التاريخ بكلية البنات جامعه عين شمس)

الملخص

مثل الأطفال جزءًا هامًا من حياة المجتمع البيزنطي ، وقد تناولت هذه الدراسة التعليم الذي كان يعد أحد الركائز الهامة التي تعتمد عليها الدولة، والأشخاص الذين يريدون العمل في دوائر الدولة الرسمية كان التعليم بالنسبة لهم هو البوابة التي يعبرون من خلالها للوصول لهذه الوظائف وللمناصب العليا في الدولة، فعلي قدر تعليم الشخص كان يحصل علي عمل جيد ويستطيع تقلد مكانة تليق بتحصيله العلمي والثقافي. وكان تعليم الأطفال في مراحله الأولي يقع عبئه علي الأسرة حيث تتولي الأم أو الأب أو أحد الأشقاء ضضالكبار مهمة تعليم الطفل مبادئ القراءة والكتابة، بعدها يستطيع الالتحاق بالمدرسة الابتدائية.

Teaching children in Byzantine society

By
Saher Samir Farid Awwad
Master Researcher, Department of History, Ain Shams University

Summary

Children were an important part of the life of Byzantine society.This study dealt with education, which was one of the important pillars on which the state relied.People who wanted to work in the state's official departments were the gateway through which they crossed to reach these positions and senior positions in the state. As much as the education of the person was getting a good job and can assume a position befitting his educational and cultural achievement. The education of children in the early stages of the burden falls on the family where the mother or father or one of the elder siblings task of teaching the child the principles of reading and writing, then he can attend primary school.

كانت أهم الاستحقاقات التي يحصل عليها الابن من والديه، هي التربية السليمة ونيل قدر مناسب من التعليم، والتعليم في المجتمع البيزنطي مثله مثل أي مجتمع آخر كان دعامة هامة وأساس يبني عليه تطور وتقدم هذا المجتمع.

كان التعليم في الإمبراطورية الرومانية أحد الركائز الهامة التي تعتمد عليها الدولة لخيرها ورخائها، فكان الدخول للعمل في إحدي الدوائر الحكومية يتطلب أن يكون هذا الشخص قد نال قدرًا معينًا من التعليم والثقافة [1]، وكلما ازداد هذا القدر الذي تلقاه الشخص من التعليم، كلما ارتفعت فرصه في الحصول علي عمل أفضل، وازدادت مكانته وارتقي في المناصب. فقد كان يلزم الساعون للحصول علي الوظائف الكتابية التدرب علي الاختزال، وكاتب العدل كان لابد وأن يدرس القانون، لكن معظم المهارات التي يكتسبها المتعلم تمكنه من الحصول علي وظيفة [2].

- **دور الأسرة في تعليم أبنائها :**

كانت الإمبراطورية البيزنطية امتدادًا ووريثة للإمبراطورية الرومانية، تدير الأمور بكفاءة، بإيمان

---

(١)داوني، في عهد ثيودوسيوس الكبير، ترجمة ألبرت بطرس، مؤسسة فرانكلين للطباعة النشر، ط.بيروت 1968م، ص100 ؛ Kalogeras, N.M., *The role of parents and kin in the education of Byzantine children*, Hoping for Continuity: Childhood, Education and Death in Antiquity and the Middle Ages, ed. K. Mustakallio, J. Hanska, H.-L. Sainio, V. Vuolanto, Rome: Institutum Romanum Finlandiae, 2005, p.2.

(2) Moffatt, A.,*The Byzantine child*, Social Research, The new school publishing, Vol.53, No.4, 1986, pp.705 – 723, p.709.

مسيحي، وذات ثقافة يونانية هذه الثقافة التي تم ترسيخها بالفعل خلال القرنين الرابع والخامس، والحفاظ عليها، ونقلها من خلال نظام تعليمي موروث من التراث اليوناني الهللينستي - الروماني ، ومؤسس على دراسة الأدب الكلاسيكي القديم [1].

كان التعليم في الأساس مسئولية شخصية لكل فرد، فلم تكن الدولة مسئولة عن تعليم شعبها، ولا تقوم بفتح المدارس في أقاليمها، فكانت أهم مرحلة في تعليم الطفل تبدأ في المنزل، كما كانت الأسر الميسورة ترسل أطفالها إلي المدرسة ليتلقوا تعليمهم [2]. وقد لعب الأقارب في بعض الأحيان دورًا في عملية تعليم الطفل، وزودوا الأطفال ببعض المعلومات التي تفيدهم في حياتهم، كما أعطوا بعض النصائح لوالدي الطفل عن الطريقة المثلي للتعليم [3]. وفي حالة وفاة الأب أو الأم أو كليهما، كانت مهمة تعليم الأطفال تنتقل إلي أجدادهم أو الأعمام أو الأخوال، أو أيٍ من الأقارب الذكور العاملين في إحدي الدوائر الحكومية أو من رجال الكنيسة ليعتني بالأطفال طوال فترة دراستهم [4].

رأي ذهبي الفم أن عمل الآباء في المنزل بتلقينهم للأطفال ما يلزمهم من قواعد تعليمية ومبادئ

---

(1) O'Roark, D. A.,Urban family*structure in Late Antiquity as evidenced by John Chrysostom*, Ph.D. of philosophy, The Ohio State University, 1994,p.182; Moffatt, child, p.707.

(2) Kalogeras, N.M., *Byzantine childhood education and its social role from the sixth century until the end of Iconoclasm*, Ph.D. of philosophy, Department of history, Chicago University, 2000, p.121; Kalogeras, education, p.1.

(3) Kalogeras, education, p.1.

(4) Kalogeras, education, p.1.

أخلاقية هما أهم شئ يحدث في حياة الطفل في سنواته الأولي، حيث يبدأ الطفل في تعلم قواعد الكتابة والقراءة في سن الخامسة أو السادسة [1]، لذلك يجب علي كل أب أن يخصص أوقات فراغه ليقضيها مع أطفاله، لتكوين شخصيتهم وصياغتها وفقًا لما يراه الأب في صالح ابنه [2]. ويراقبون تطور أبنائهم

والمهارات التي اكتسبوها من المدرسة، وأحيانًا إذا كان الوالدان غير راضيين عن مستوي تقدم طفلهما العلمي فيلقيان باللوم علي المعلم وينقلان طفلهما إلي مدرسة أخري [3].

يظن بعض الآباء أن هذه الأشياء لا فائدة منها، ويكتفون بما يتلقاه أطفالهم من تعليم علي يد أحد المعلميين الخاصين، أو في المدرسة، لكن لتولي الأب مهمة تعليمه ابنه في المرحلة الأولي من حياة طفله قيمة كبيرة وفائدة عظيمة، لأنها تمنح الأب الفرصة لتدريب حواس طفله، ويضمن أيضًا خضوعه لنظام تهذيب خاص [4].

يقوم الأب بدور المربي وكذلك المعلم، ينقل لأبنائه كل ما تلقاه من تعليم وثقافة بجانب تربيتهم، أو يحضر لهم معلمًا خاصًا يقوم بهذه المهمة، وكل ذلك كان يخضع للمقدرة المادية لكل أسرة، فكانت الأسر الفقيرة محكومًا علي أطفالها بالجهل، والحرمان من أمل التعليم [5]. كما كان للأم دور مماثل لدور الأب

---

(١)ذهبي الفم، تفسير رسالة بولس الرسول إلي أهل أفسس، ترجمة حكيم سعيد يعقوب، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية (مؤسسة القديس أنطونيوس)، ط.القاهرة 2016م، ص311 – 312 ؛ بولس الفغالي، يوحنا الذهبي الفم في المئوية السادسة عشرة لوفاته، سلسلة آباؤنا والمعلمون، منشورات المكتبة البولسية، ط.1، بيروت 2008م، ص163.

(٢)ابن كبر(شمس الرئاسة أبو البركات)، مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة، تعليق ميخائيل مكسي اسكندر، مكتبة المحبة ط.القاهرة 2003م ، ص107 ؛ داوني، أنطاكية، ص190.

(3) O’Roark, Urban family, p.184.

(٤)داوني، أنطاكية، ص190 – 191.

(٥)داوني، أنطاكية، ص101.

في تعليم أبنائها، خاصة في تعليم الإناث منهم [1].

أما أبناء الأسر الغنية، فكان تعليمهم يبدأ من المنزل، وأحيانا قد تتولي نساء العائلة اللواتي تجدن القراءة والكتابة مهمة تلقين الطفل الدروس والمبادئ الأولي لقواعد القراءة والكتابة التي تساعده في ما بعد

في التعلم. علي أن تتولَ هذه المهمة الجدة أو الأم [2]، أو أحد الأشقاء الأكبر منه داخل الأسرة أو أحد العبيد المتعلمين [3].

كانت مسئولية الوالدين في تعليم أبنائهما تعبر عن جزء هام من العلاقة التي تجمع الوالدين بأطفالهما، فقد كان توليهم هذه المهمة بأنفسهم تزيد أواصر الروابط القوية بينهم [4]، كما أنه تقوي من ارتباط الأسرة ببعض أقاربهم الذين كانوا يتولوا مسئولية تعليم أطفالهم، فقد كان التعليم كتدبير مهم لتحسين الأوضاع الاجتماعية للأسرة [5].

كانت القديسة ماكرينا الصغري مثالًا للشقيقة الكبري التي تعني بتعليم وتدريبها أشقائها الصغار ورعايتهم، فقد كان لها 10 من الأخوة والأخوات هي أكبرهم، وكان لها عظيم الأثر عليهم، فأخوها

---

(1) Kalogeras, education, p.8.

(٢)داوني، أنطاكية، ص104 ؛ Kalogeras, education, p.3 - 4

(3) Moffatt, child, p.707 – 708; Davies, E.,*From womb to the tomb: The Byzantine life course* (A.D. 518 – 1204), Ph.D. of Philosophy, Birmingham University, 1988, p72 – 73.

(4) Kalogeras, education, p.8.

(5) Kalogeras, education, p.8.

الأصغر بطرس السيبسطي، الذي عُين أسقفًا علي سبسطية [1](380 – 391م)، ولد عام 341م وما أن ولد حتي توفي والدهما باسيليوس، فضمته ماكرينا إليها واعتنت بتربيته وتنشئته، فكانت له بمثابة الأب والأم والمعلم والمربي، فكان يري بطرس في أخته المثل الصالح والقدوة التي يجب أن يحتذي بها [2]. فبعد أن وصل سن الفطام، اهتمت هي بتربيته وبالعناية به بدلًا من مربيته، اهتمت به روحيًا وعلميًا، فنال علي

يديها ثقافة رهبانية ونسكية غير ما تعلمه من أخويه باسيليوس وغريغوريوس، فراحت ماكرينا تعلمه منذ طفولته المبكرة العلوم الدينية، ولم تترك له المجال للتعلق بالأمور الدنيوية، بل شغلت كامل تفكيره بما كانت تعلمته من العلوم الدينية والاهوتية، والقراءات من الكتاب المقدس [3].

احتفظ كذلك شقيقهم باسيليوس الكبير بتأثير جدتهم ماكرينا الكبري ووالدتهم إميليا عليه، فقد عاش حياته متأثرًا بتعاليمهما وبالتربية والمبادئ الصالحة التي نشأ عليها، خاصة بعد أن توفي والده باسيليوس مبكرًا تاركًا أمر العناية بباسيليوس الابن وباقي اخوته لوالدته ماكرينا الكبري ولزوجته إميليا، اللاتان أحسنتا تربيته وتعليمه هو وباقي اخوته، وقد ظل القديس باسيليوس طوال حياته متمسكًا بنفس التعاليم

---

(١)سبسطية Sebasteia: كان اسمًا شائعًا في العصور القديمة الكلاسيكية. كان سيباست هو المعادل اليوناني (المؤنث) لأوغسطا Augusta اللاتينية. سميت المدن القديمة بالاسم لتكريم أوغسطس أو إمبراطور روماني لاحق. (حاليا مدينة سيواس Sivas وسط تركيا) مدينة تقع في شما شرق كبادوكيا عند تقاطع الطرق الرئيسية، العاصمة المدنية والكنسية لأرمينيا الصغري، واشتهرت "شهداء سبسطية الأربعين" الذين قتلوا بعد أن أمر ليكينيوس بقتلهم وتعذيبهم. Kazhdan, A.,*The Oxford Dictionary*, Dumbarton Oaks Papers, 3Vols, Oxford University Press, 1991, p.1861.

(٢) غريغوريوس النيصي، حياة القديسة ماكرينا، تعريب الأب حنا فاخوري، سلسلة النصوص الكنسية، منشورات المكتبة البُولسية، ط.1، بيروت 2001م، ص44.

(٣)النيصي، ماكرينا، ص44.

التي تلقاها منهن وتربي عليها، فنجد باسيليوس يقول: " لقد احتفظت في داخلي بالفكر الذي استلمته من أمي وأيضًا من جدتي ماكرينا " [1].

كانت أنثوسا والدة القديس يوحنا ذهبي الفم هي مثالنا الثالث عن اهتمام الأسرة بتربية وتلقين الطفل التعليم الأولي الذي يحتاج إليه، فقد توفي القائد الروماني سكوندس Secondusتاركًا زوجته أنثوسا

Anthusa أرملة شابة وحيدة في سن العشرين، فقط بعد أربعة سنوات من زواجهما، كانت لا تزال في عمر الشباب، تاركًا لها مهمة الاعتناء بابنهما يوحنا [2]، وحاول الكثيرون التقدم للزواج منها لكنها رفضت، وقررت أن تكرس حياتها للاهتمام بتربية وتعليم يوحنا، وإدارة الأملاك الموروثة عن زوجها[3].

اهتمت أنثوسا بتربية ابنها يوحنا تربية مسيحية تقية، ومكنتها الأموال التي تملكها والتي ورثتها عن زوجها، أن ترسل يوحنا إلي مدرسة أنطاكيا ليتتلمذ علي يدي أقدر وأشهر معلميها، ويتشرب جيدًا العلومالمدنية، وينال ثقافة عصره، فأرسلته إلي أندروغاثيوس Androgathius الذي درسه الفلسفة، وإلي ليبانيوس الشهير أستاذ فن الخطابة والبلاغة السوفسطائي الوثني، فتعلم يوحنا علي يديه الخطابة وفصاحة

---

(١)باسيليوس الكبير، تعاليم آبائية، ج 1، ترجمة جورج عوض إبراهيم، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية (مؤسسة القديس أنطونيوس)، ط.1، القاهرة 2016م، ص153 – 154.

(٢)يوحنا ذهبي الفم، تفسير رسالة بولس الرسول إلي فليمون، ترجمة رأفت موسي ذكري، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية (مؤسسة القديس أنطونيوس)، ط.القاهرة 2005م، ص 10 ؛ يوحنا ذهبي الفم، شرح سفر التكوين، إعداد القس أغسطينوس البرموسي، دير البرموس، سلسلة كنوز مخطوطات البرموس، دار نوبار للطباعة، ط.1، القاهرة 1999م، ص10.

(٣)جيورجيو، القديس يوحنا الذهبي الفم، تعريب الأسقف جبران الرملاوي، تعاونية النور الأرثوذكسية للنشر والتوزيع، ط.بيروت 2011م، ص8.

القول والبلاغة، فنبغ يوحنا نبوغًا فريدًا ومميزًا، وأعجب به معلموه والكثيرون، وتنبأوا له بمستقبل باهر في العمل بالمحاماة [1].

رغم أن أنثوسا هي من أدخلت ابنها يوحنا إلي المدرسة، ومعرفتها بأن أساتذته مازالوا علي وثنيتهم، إلا أنها لم تتركه لهم ليبدلوا في أفكاره، ويغيروا إيمانه، فقدد اهتمت بتعليمه في المنزل، وشربته الإيمان المسيحي، والتمسك بتعاليم الكتاب المقدس [2]. فجاءت نشأة ذهبي الفم بفضل والدته علي التقوي والإيمان، معتنية بتهذيبه عناية قائمة علي أساس محبة الأم الصادقة لطفلها، موجهة إياه نحو الصلاح والقداسة[3].

يتخذ يوحنا قراره في ما بعد بأن يعتزل العمل في المحاماة متأثرًا بتلك التربية والتعاليم التي تلقاها في طفولته من والدته، ولا يقبل أن يخلف أستاذه ليبانيوس في رئاسة مدرسته في أنطاكيا، مفضلًا عن ذلك أن يتخذ سبيل الإيمان والنسك [4].

سجّل التاريخ حالة أخري لابنة أحد الأسر الإمبراطورية التي تولت الابنة الكبري فيها مسئولية رعاية وتعليم شقيقها وشقيتيها الصغار، وهي الإمبراطورة بولكيريا Pulcheria ابنة الإمبراطور أركاديوس التي

---

(١)داوني، أنطاكية، ص 175 ؛ منسي يوحنا،خطيب المدينتين (يوحنا ذهبي الفم)، مطبعة النيل المسيحية، ط.القاهرة، ب.ت، ص23.

(٢)ذهبي الفم، فليمون، ص10 ؛ داوني،أنطاكية، ص175 ؛ منسي، خطيب، ص23.

(٣)منسي، خطيب، ص24.

(٤)ذهبي الفم، فليمون، ص10.

أصبحت الوصية والمعلمة لشقيقها الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني، وتولت مسئولية رعايته وتربيته وإعداده لتولي مهام منصبه كإمبراطور، فأحسنت تربيته علي القيم والخلق والسلوك القويم، وتعلم مبادئ وبروتوكول البلاط، ففي عام 421م اتخذت قرارًا بعزل الخصي أنتيوخوس Antiochus وإعفائه من مهامه التي كان مضطلعًا بها في البلاط بصفته معلمًا لثيودوسيوس وتولت هي هذا الدور بنفسها [1]، فقد

كانت بولكيريا تتحلي بقدر كبير من الحكمة والذكاء بل أنها تولت مهمة منصب الوصاية عليه [2]. كما كان لها نفوذ وتأثير كبير علي شقيقها لفترات طويلة خلال حكمه كإمبراطور [3].

قُسِّم التعليم في الدول البيزنطية إلي 3 مراحل تعليمية [4]، المرحلة الأولي، والمعروفة " بالمرحلة الابتدائية Elementary education "، كان التعليم في هذه المرحلة متاحًا علي نطاق واسع في معظم أنحاء الإمبراطورية، ليس في المدن فقط، بل في القري أيضًا، وفيها يتم تعلم الحروف وتدريس مهارات وقواعد القراءة والكتابة للأطفال علي يد معلمي المرحلة الابتدائية، تتراوح أعمار هؤلاء الأطفال ما بين 6

---

(1) Greatrex, G., *Pulcheria* (*Wife of the Emperor Marcian)*, Ottawa Universit, 2004, p.1. An Online Encyclopedia of Roman Emperors, in www.roman-emperors.org; Chew, K.,*Virgins and Eunuch: Pulcheria, Politics and the death of Emperor Theodosius II*, Zeitsch rift fur Alte Geschichte, vol.55, No.2, pp.207 – 227, p.207.

(2) Kalogeras, childhood, p.208.

(3) Greatre, Pulcheria, p.1; Chew, virgins, p.216.

(4) Kalogeras, education, p.5.

أو 7 سنوات [1]. وأحيانًا كان يعطي الطالب بعض الواجبات المنزلية التي يستكملها ليلًا، حيث يدرس ويحفظ ما تلقاه نهارًا في مدرسته [2].

يذهب الطفل عادة إلي المدرسة برفقة أحد العبيد الملقب " بالمربي "، وهو أحد العبيد المتعلمين الذي كانت تقتنيه الأسر الثرية لأجل مساعدة الطفل في واجباته المدرسية، يحمل له كتبه ومواده الدراسية خلال

ذهابه بالطفل للمدرسة، ورغم كون هذا المربي عبدًا في الأصل، إلا أنه كانت له منزلة خاصة داخل المنزل، وسلطة علي الأطفال، ومشترك في المسئولية عنهم مع الوالدين [3]، كما يتولي بجوار مهمة تعليم الطفل القراءة والكتابة، مهمة تربية الطفل إذا كان الأب شديد الانشغال ولا يجد الوقت الكافي لتربية أطفاله، ويعلمه كذلك الآداب والأخلاقيات [4].

لم تكن المدارس الابتدائية تلقي الاهتمام الكافي لا من الشعب ولا من الدولة [5]، وهي لم تكن مدرسة بالشكل المعروف لدينا حاليًا، بل كانت مجرد حجرة متواضعة في أحد المباني العامة حيث يدرس المعلم لعدد من التلاميذ من أعمار مختلفة، وأحيانًا قد تكون غرفة داخل كنيسة أو دير، وقد يضطر المعلم في حالة عدم توفر هذه الغرفة أن يجلس مع تلاميذه في مكان بالعراء ليدرسهم [6]. فقد كان مألوفًا لمعلمي

---

(1) O'Roark, Urban family, p.182; Kalogeras, childhood, p.133.

(2) O'Roark, Urban family, p.184.

(٣)داوني، أنطاكية، ص105 ؛ Kalogeras, education, p.3

(٤)داوني، أنطاكية، ص105 – 106.

(5) Kalogeras, education, p.6.

(6) Kalogeras, childhood, p.121.

المرحلة الابتدائية وطلابهم أن يجلس المعلم علي الأرض والتلاميذ من حوله، فكان المعلمون يعملون دون رقيب لمحاسبتهم ومتابعة عملهم [1].

حظي معلمو المدارس الإبتدائية بمنزلة متواضعة جدًا، بل ينظر الكثيرون إليهم باحتقار، ويتلقون مرتبات ضئيلة لا تكفي احتياجاتهم ومتطلبات حياتهم الشخصية، مما سيؤثر بالسلب علي شخصيتهم وأدائهم في عملهم. لذلك نجد المعلمين في المدارس ذوي طباع حادة وقاسية، يعاني الأطفال من معاملتهم السيئة، ويخشونهم بشدة، وكثيرًا ما كانت عقوبة الأطفال في صورة عقوبة جسدية، فيقوم المعلم بضرب

الأطفال بصورة مبرحة [2]. ويمكن للرجل أن يتذكر حالة الرعب التي كان يحياها في طفولته بسبب ما عاناه في مدرسته من تعنيف وإيذاء من معلمه [3].

أثّر ذلك بالطبع علي نفسية الطفل وطبيعته، لذلك نجده كارهًا للتعليم والذهاب للمدرسة، فيتفشي الجهل بين الأطفال وتزداد نسبة الأمية. وكان هذا سبب يجعل الآباء يلجأون لتعيين معلم خاص لأبنائهم في المنزل مقابل أجر يدفع لهم لقاء تعليم الابن فترة زمنية محددة [4].حتي يتأكد من تلقي ابنه الأساسيات التييحتاجها والتي كان من المفروض أنيتعلمها في مرحلته الإبتدائية [5].

---

(1) Kalogeras, childhood, p.121.

(٢)داوني، أنطاكية، ص105 – 106.

(3) O'Roark, Urban family, p.183.

(٤)ديورانت، قصة الحضارة (عصر الإيمان)، ترجمة محمد بدران، مج4، ج1، ط.بيروت 1949م، ص244 ؛ Kalogeras, education, p.6

(5) O'Roark, Urban family, p.183; Kalogeras, education, p.6.

يعتبر المنهج الدراسي جزءًا مهمًا وأساسيًا في أي نظام تعليمي، لأنه يساعد الطلاب في تحقيق الهدف من تعليمهم، ويزود التلميذ بالمعلومات والمفاهيم التي من المفترض أن يحصل عليها بسبب دراسته[1]، وهو عبارة عن مجموعة من المواد الدراسية التي يدرسها التلاميذ خلال هذه المرحلة العمرية، لذا يجب أن تكون تلك المواد تتناسب مع أعمارهم، وفي نفس الوقت تؤدي الهدف الذي وضعت لأجله هذه المرحلة التعليمية "المرحلة الابتدائية" [2].

حصل الأطفال في المدارس الابتدائية علي برامج تعليمية في أغلبها تعتمد علي منهج أدبي، حيث يحصلون علي تدريس لقواعد اللغة الأولية والحروف الأبجدية ليكونوا قادرين علي بناء الكلمات والجمل بشكل صحيح [3]، وقراءة القصص، ومقتطفات من قصائد شعرية ونثرية، مستخدمين كتبًا دراسية أعدت خصيصًا لهذه الغاية إن توفرت هذه الكتب، فلم يكن من السهل بالطبع علي كل أسرة أن توفر لطفلها الكتب التي يعتمد عليها في دراسته [4].

اعتمد الأطفال بشكل كبير علي مدي اتساع ذاكرتهم وقدرتهم علي الحفظ، فيحفظ الطفل قطعًا طويلة وجملًا بلاغية كثيرة، لتساعده بعد حين عندما يبدأ في الكتابة بنفسه علي تحسين أسلوبه في الكتابة، محتذيًا بأسلوب الشعراء في الكتابة والإلقاء [5]. ففي السن المبكرة للطفل كان يمكنه أن يحفظ " مزامير

---

(١)داوني، أنطاكية، ص106.

(٢)داوني، أنطاكية، ص106.

(3) Kalogeras, childhood, p.124; Kalogeras, education, p.2 – 3.

(4) Kalogeras, childhood, p.136.

(5) Moffatt, child, p.707; Daves, womb, p.77.

داود " عن ظهر قلب، إن لم يكن الكتاب المقدس بأكمله [1]. ودراسة النصوص الدينية هذه أعطت المرحلة الابتدائية طابعًا دينيًا [2]. وإذا عجز الطفل عن حفظ فروضه سواء من دروسه أو من المزامير والكتاب المقدس فكان يتم معاقبته ويتعبر تلميذًا بليدًا لا يصلح للتعليم [3].

رغم اعتماد المناهج الدراسية بشكل أساسي علي مناهج أدبية، كان لابد للطالب أن يطلع علي فروع علمية أخري [4]، فتلقي دروسًا في أسس وقواعد علم الرياضيات ويحصل علي بعض المسائل الحسابية،

بهدف تعليم الطفل الترتيب والتنظيم في أفكاره، ولتنشيط ذهنه وذاكرته، حتي يكون في ما بعد أهلًا لدراسة وتعلم أسمي مناهج ومواد الدراسة ألا وهي علم الفسلفة[5].

يمكن الاطلاع علي الروتين اليومي الذي كان يسير عليه تلاميذ المدارس الإبتدائية من خلال معرفة النظام الذي كان يسير عليه القديس ثيودور السيكوني Saint Theodore of Sykeonالزاهد البيزنطي

---

(١)داوني، أنطاكية، ص106 – 107 ؛ Kalogeras, education, p.6 - 7

(2)Kalogeras, childhood, p.124; Kalogeras, education, p.7.

(3)Kalogeras, childhood, p.137.

(4)Kalogeras, childhood, p.131.

(٥)الفلسفة Philosophy: كلمة يونانية، أجمع العلماء علي أنها معربة عن الأصل "فيلوسوفيا" مشتقة من كلمتين، الأولي"فيلو" وتعني حب، والثانية "سوفيا"، فيعني المصطلح كاملًا "حب الحكيمة، ولذلك وصف أفلاطون سقراط بانه "فيلاسوفوس" بمعني "محب الحكمة". وقد زعم هيرقليدس وأيده في ذلك شيشرون أن أول من استعمل لفظ الفلسفة هو الفيلسوف اليوناني فيثاغورس (572 – 497 ق.م) الذي وصف نفسه بالفيلسوف. وللمزيد عن علم الفلسفة، والمدارس الفكرية الفلسفية، انظر: مرتضي المطهري، الفلسفة، ترجمة حسن علي الهاشمي، دار الولاء للطباعة والنشر، ط.2، بيروت 2011م.

الذيعاش في النصفالأول من القرن الساس الميلادي، هو ورفاقه في صغرهم في مدرستهم التي كانوا يلتحقون بها لتلقي دروسهم في الثامنة صباحًا حتي الظهر، يليها ساعة للراحة، يتناولون فيها وجبة طعام، ليعود الطلاب بعدها لبدء الفترة المسائية حتي وقت غروب الشمس [1]، بمعني أنهم كانوا يتلقون تعليمهم لمدة ثماني ساعات يتخللها ساعة واحدة للراحة، وقد يحرم أي طالب من هذه الراحة ويبقي في مدرسته إذا أساء التصرف أو ارتكب شيئًا خاطئًا [2].

تنتهي مرحلة التعليم الابتدائي للطفل، ما أن يصل سن العاشرة أو الثانية عشر [3]، وهنا تبدأ مرحلة جديدة في حياة الطفل، وهي الانتقال إلي مرحلة تعليمية جديدة هي " المرحلة الثانوية Secondary education "، وفي هذه المرحلة، يتخذ والد الطفل قرارًا هامًا بشأن حياته العلمية أو العملية، فإذا كانت أسرة الطفل من الأسر الغنية القادرة ماديًا علي إرسال ابنها إلي إحدي المدارسالثانوية والإنفاق علي تعليمه [4]، فكانت تتاح للابن حينها فرصة استكمال دراسته في إحدي هذه المدارس، أو ان تكون أسرة الطفل من الأسر الفقيرة، التي كانت تكتفي بحصول ابنها علي هذا القدر من التعليم، ويلتحق الابن بمهنة – غالبًا ما تكون نفس مهنة الأب – حتي يساعد أسرته ويعينها ماديًا [5].

---

(1) Kalogeras, childhood, p.131.

(2) Kalogeras, childhood, p.131 – 132.

(3) O'Roark, Urban family, p.182 – 183.

(٤)داوني، أنطاكية، ص106 ؛ Kalogeras, education, p.3

(٥)داوني، أنطاكية، ص106.

تراوحت أعمار الطلاب في هذه المرحلة بداية من سن الثانية عشر، وحتي بلوغه سن الخامسة عشر وأحيانًا حتي سن العشرين، تبعًا لدرجة نبوغ كل طالب، ومدي سرعة استجابته واستيعابه للمواد والعلوم التي يقوم بدراستها [1].

علي العكس من معلمي المرحلة الابتدائية، كان معلمو المرحلة الثانوية أكثر تنظيمًا، يقومون بالتدريس داخل حجرات منظمة داخل أحد المباني العامة المخصصة لهم ولطلابهم [2]. حيث يتلقي الطالب دروسًا في قواعد اللغة علي أيدي معلمين مهنيين وتحت إشراف المدارس الثانوية [3]. فكان لابد للطلاب دراسة اللغتين اليونانية واللاتينية، وخاصة لمن يريد أن يعمل في مجال الخدمة المدنية فعليه أن يتقن اليونانية وقواعدها جيدًا [4]. وفي حالة انتقال أسرة من إقليم إلي آخر كان ابناء هذه الأسرة يتلقون دروسًا في لغتين، اليونانية

وهي اللغة الرسمية للدولة إضافة إلي الغة المحلية للإقليم، مثل ما حدث مع الطلاب في مصر حيث كانوا يدرسون اللغة اليونانية إلي جانب السريانية والقبطية أيضًا [5].

كانت نهاية المرحلة الثانوية هي نقطة تحول هامة جدًا في حياة الطالب، فإما أن يكتفِ بإنهاء هذه المرحلة، أو يقرر استكمال دراسته، والانتقال إلي مرحلة " التعليم العالي Higher education " أو التي

---

(١)داوني، انطاكية، ص107.

(2) Kalogeras, childhood, p.121 – 122.

(3) Kalogeras, childhood, p.123.

(4) O'Roark, Urban family, p.183.

(٥)داوني، أنطاكية، ص107.

اعتاد البعض علي تسميتها "بالتعليم الجامعي"يلتحق بها الطالب وهو في سن الخامسة عشر [1]. وكسابقتها، كان التحاق الابن بالتعليم العالي يتم وفق المقدرة المادية لأسرة الطالب، ورغبتهم في حصوله علي أعلي الدرجات العلمية، ووصوله لتحقيق مكانة هامة في المجتمع [2].

لم تكن تعتمد سنوات الدراسة في هذه المرحلة العليا علي عدد محدد من السنوات، بل علي مدي ميول الطالب، ورغبته في تحصيل العلوم المختلفة، ووفق خططه للمستقبل. ولكنها قد تستمر لثمان سنوات أو أكثر [3]. كان الطالب خلالها يحصل علي 7 علوم متنوعة قسمت إلي مجموعتين، المجموعة الأولي هي المجموعة الثلاثية trivium وتنطوي علي دراسة قواعد اللغة والبلاغة والمنطق [4]، واهتم الطلاب بهذه المواد خاصة من كان أهلهم يريدون لهم العمل في مجالات تحتاج لنوع خاص من المهارات وفصاحة القول، وحسن التعبير، كالخطابة أو العمل في مهنة المحاماة، فيتلقون تدريبًا خاصًا في طريقة الوقوف والإلقاء، واستخدام التعبيرات المناسبة علي وجوههم، والإشارات المناسبة لتعبر بشكل دقيق عما يريد

قوله[5]، فنجاح الخطيب كان يعتمد ليس فقط علي قوة ووضوح صوته، بل أيضًا كان يعتمد علي حُسن مظهره، وطريقة أدائه التمثيلية لما يقوم بعرضه، ومحتوي الكلام الذي يتفوه به[6].

---

(1) Kalogeras, childhood, p.141.

(٢)داوني، أنطاكية، ص107 – 108.

(٣)داوني، أنطاكية، ص108.

(4) Kalogeras, childhood, p.123.

(٥)داوني، أنطاكية، ص107.

(٦)داوني، أنطاكية، ص107.

والمجموعة الثانية هي المجموعة الرباعية quadrivium وتشمل، الحساب والهندسة والفلك والموسيقي[1].

أصبحت مدن بعينها مراكز علمية مختصة في هذه المرحلة العليا من التعليم، يفد إليها الطلاب من جميع أنحاء الإمبراطورية الراغبون في الالتحاق بالمرحلة الجامعية العليا، لتلقي تعليمهم وثقافتهم، مثل مدينتي أثينا والقسطنطينية اللتين كانتا تضم أعظم أساتذة العصر، أصحاب العلم والشهرة العظيمة [2]، مثلما سافر القديس باسيليوس الكبير إلي القسطنطينية حيث درس البيان والفلسفة، وبعدها بعدة سنوات سافر إلي أثينا ليكمل دراسته، وهناك التقي بصديقه القديم القديس غريغوريوس النزينزي الذي ارتحل هو الآخر لتلقي تعليمه العالي في أثينا، وخاصة للاستزادة من علم الفلسفة [3]. وكان أحد أشهر أساتذة الفلسفة في أثينا المعلم

ليونتيوس الوثني والد الإمبراطورة يودوكيا زوجة الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني، كما قام بتدريس علم البلاغة[4].

وقد تميزت كذلك مدينة أنطاكيا بوجود أحد أشهر هؤلاء الأساتذة بين أبنائها وهو الفيلسوف ليبانيوس [5]

---

(1) Kalogeras, childhood, p.123.

(٢)داوني، أنطاكية، ص108.

(٣)باسيليوس الكبير، أيام الخليقة الستة، ترجمة القمص بيشوي الأنطوني، مشروع الكنوز القبطية، مطبعة دير البرموس، دار القديس يوحنا الحبيب للنشر، ط.1، القاهرة 1996م، ص7.

(4) Greatrex, G., *Aelia Eudocia* (Wife of Theodosius II), Ottawa University, 2004, p.1. An online Encyclopedia of Roman Emperors, in www.roman-emperors.org

(٥)ليبانيوس Libanius : خطيب وفيلسوف سوفسطائي شهير ولد في أنطاكيا في عام 314م وغادرها إلي أثينافي عام 336م لمواصلة دراسته للخطابة في أكاديميتها، ثم انتقل إلي القسطنطينية للعمل كمعلم خاص خلال الفترة من 340م إلي 342م، وبعدها انتقل إلي نيقوميديا للتدريس فيها، وعاد ليستقر أخيرًا في مسقط رأسه في عام 353م حتي وفاته حوالي عام 393م. عبد العزيز رمضان، دراسات في التاريخ البيزنطي، كلية الآداب، جامعة عين شمس، 2015م، ص33.

الذي كان معلمًا للبطريرك يوحنا ذهبي الفم، والقديس باسيليوس الكبير أسقف قيصرية، والإمبراطور جوليان المرتد، وثيودور المصيصي (المؤبسستي) [1].

كان الطالب يختار بنفسه معلمًا معينصا أستاذًا في المادة التي قرر أن يدرسها ، سواء في الفلسفة أو القانون، فيتلقي علومها علي يد هذا المعلم حتي يجيدها ويتقنها، وبعذ ذلك قد يفكر الطالب في تلقى علوم مادة أخري علي يد أستاذ آخر [2]. كما كان متاح أن يقصد الطالب أكثر من معلم لدراسة عدة مواد في الوقت نفسه، مستغلًا فرصة وجوده داخل أحد هذه المدن الكبري والمؤسسات العلمية العليا ليتعلم ويكتسب علمًا وخبرة من أساتذتها [3].

جدير بالذكر أن التعليم في الدولة البيزنطية لم يكن قاصرًا علي نظام التعليم المدني في مراحله الثلاث (الابتدائية – الثانوية – العليا) فقط، لكن كان هناك نظام تعليمي آخر موازٍ لهذه المدارس المدنية،

(١)ثيودور المصيصي أو المؤبسستي (بلاد ما بين النهرين) Theodore of Mopsuestia: ولد في أنطاكيا عام 350م، درس الخطابة والأدب في أنطاكيا علي يد فيلسوفها الشهير ليبانيوس، حيث التقي ذهبي الفم، وصارا صديقين. وفي عام 369م التحق الاثنان بمدرسة ديودور في دير بأنطاكيا حيث عاشا حياة نسكية، ولكن بعد فترة ترك ثيودور حياة النسك، وعمل بالمحاماة، والتقي بفتاة يهودية تدعي هيرمويني Hermoine وبعد أن تزوجها تحطمت نفسيته تمامًا، فأرسل له صديقه ذهبي الفم برسالتين يحثه فيهما علي العودة إلي سيرته الأولي بالتوبة الصادقة، وهاتان الرسالتان تم ترجمتهما إلي العربية تحت عنوان "ستعود بقوة أعظم". في عام 392م رسم أسقفًا علي المصيصة، وظل فيها حتي وفاته عام 428م. www.st-takla.org

(٢)داوني، أنطاكية، ص109.

(٣)داوني، أنطاكية، ص109.

وهو التعليم داخل المؤسسات الدينية، سواء كانت مدارس ديرية تقام داخل الأديرة أو مدارس إيبارشية.

كان السبب في ظهور المدارس الديرية Monastic schools (باللاتينية Scholae monasticae) حينما أراد القديس باخوميوس [1] أن يتعلم جميع الرهبان القراءة ليتمكنوا من قراءة الكتاب المقدس، وحفظ المزامير وما يلزمهم من آيات من العهد الجديد. فبدأ الرهبان في تعليم بعضهم البعض، من يجيد القراءة والكتابة منهم، يبدأ في إعطاء دروس لغير المتعلمين [2]، وكان القديس باخوميوس هو أول من وافق علي التحاق الأطفال بالدير، بعد أن كانت العديد من الأديرة والرهبان يمانعون في استقبال الأطفال لتعليمهم. ومن هنا ظهرت فكرة المدارس الديرية لتعليم الأطفال في القرن الرابع، والتي مارست دورًا هامًا في تاريخ أوروبا في تلك الفترة [3]. وقد كان باسيليوس الكبير وذهبي الفم من مؤيدي فكرة المدارس الديرية [4].

(١)القديس باخوميوس: أب نظام الشركة، إنه أول أب يشيد ديرًا يضم داخل أسواره جماعة رهبانية تعيش في حياة الشركة في عبادتها وكل تصرفاتها. وقد ولد باخوميوس في صعيد مصر لأبويين وثنيين عام 292م، ولأنه كان مدركًا رغبة الكثيرين في الحياة الرهبانية لكنهم عاجزون عن ممارسة حياة الوحدة القاسية، فأقام أول ديرًا له في عام 318م، في طبانسين بالقرب من بابو أو باقو. وقد أنشا في المنطقة حوالي 10 اديرة، وكان عدد الرهبان في الدير الرئيسي وحده حوالي 1500 راهب، وقد توفي باخويوس عام 348م، علي اثر انتشار وباء في صعيد مصر وأصيب به كثير من الرهبان، كما تنيح باخوميوس بسبب هذا الوباء. www.st-takla.org

(2)Kalogeras, childhood, p.145 – 146; Davies, womb, p.77.

(٣)أنطونيوس فهمي جورج، التربية عند آباء البرية (آباء الكنيسة كمربيين)، سلسلة إخثوس، ط.القاهرة، 1995م، ص83.

(٤)أنطونيوس، التربية، ص84.

لم يكن الأطفال يلتحقون بالمدارس الديرية في سن السابعة مثلما كان الحال في المدارس الابتدائية العلمانية، فحدد دخول الطفل إليها بسن العاشرة حتي يكون قادرًا علي تحمل قسوة المعيشة داخل الدير في عزلة ويلتزم بضوابط المعيشة [1].

ورثت الأديرة النظم الرومانية القديمة للتعليم، فقد احتفظت مدارس الأديرة بالعلوم الكلاسيكية تدرسها للأطفال، إلا أنها غيرت كثيرًا في أساس هذه العلوم، لتجعلها تتوافق وتعاليم المسيحية، فأخذت من العلوم ما يتوافق مع هذه التعاليم ويؤيدها ويفيد الطالب المسيحي [2]، وغيرت في القصص الوثنية الخرافية، وأبدلتها بقصص عن الصالحين والأنبياء من الكتاب المقدس، فكان الأطفال يتسلون بالقصص وخاصة قراءة سير حياة القديسين وآباء الكنيسة الأوائل [3].

أصبحت الأديرة مراكز للتعليم مع بداية القرن الرابع، فكان الآباء يرسلون أولادهم ليتلقوا تعليمهم فيها. فقد كانت أشبه بأنظمة المدارس الداخلية اليوم، يقيم الأطفال داخل الدير، بعد أن وضع لهم القديس باسيليوس الكبير نظامًا تعليميًا، ونهجًا يسيرون عليه داخل هذه الأديرة [4].

كان للأطفال داخل الأديرة مساكن خاصة بهم يقيمون فيها إقامة كاملة، يمارسون فيها كامل أنشطتهم،

---

(1) Kalogeras, childhood, p.149.

(٢) سعيد عبد الفتاح عاشور، أوربا العصور الوسطي (التاريخ الحضاري)، ج 2، مكتبة الأنجلو المصرية، ط.القاهرة 2009م، ص123.

(3) Moffatt, child, p.709.

(٤) أنطونيوس، التربية، ص83.

للدرس والمذاكرة، والأكل واللعب والنوم، ليكونوا بعيدين بضجيجهم وإزعاجهم عن باقي الرهبان والشيوخ داخل الدير [1]. وحتي لا يكون لهم خلطة كبيرة مع الرهبان، فلا يعتادون عليهم، بل إذا ما التقوهم يخجلون منهم، يستمعون لأوامرهم ويطيعونهم. لكنهم يجتمعون معهم في الصلوات النهارية، ليعتادعليها الأطفال، ويتعلمون فيها من الكبار حسن التصرف والخشوع أثناء الصلاة، ويكون الصغار عونًا للكبار [2].

كان قبول الأبناء كطلبة داخل الدير يتم بموافقة كتابية من الأب، أو الشخص الواقع الطفل تحت وصايته [3]، فيأتي الأب مع طفله ليسلمه إلي الدير مع شهود كثيرين، حتي لا يدعي أحد بأن الدير أجبر الأب أو الابن علي دخول الدير لتلقي تعليمه، أو حتي لا يقول الناس بأن الدير أجبر طفلًا علي دخوله ليصبح ناسكًا، لكن مع وجود الشهود الكثيرين ينقطع كل هذا اللغط والادعاءات ويتوقف [4]. و علي العكس من ذلك، في حالة الأطفال الأيتام فاقدي الأب والأم، فقد كان الدير يوليهم اهتمامًا خاصًا، ليوفر لهم المأوي المناسب والتعليم الجيد، وكان قبول الأيتام يتم من قبل الدير دون الحاجة إلي وجود شهود، مقتدين في ذلك بما كان يفعله النبي أيوب " أبو اليتامي" [5].

قد يتأثر الأطفال من جلال وجودهم وعيشهم داخل الدير، بالرهبان والنساك الذين يعيشون بينهم،

---

(١)أنطونيوس، التربية، ص83 – 84.

(٢)باسيليوس الكبير، نسكيات القديس باسيليوس، إعداد القمص تادرس السرياني، ج 1، دير السيدة العذراء مريم (السريان)، ط. البحيرة (وادي النطرون) 2003م، ص216.

(٣)باسيليوس، نسكيات، ج1، ص129.

(٤)باسيليوس، نسكيات، ج1، ص216.

(٥)(أي 28 :7) ؛ باسيليوس، نسكيات، ج1، ص215.

فيقررون الالتحاق بالحياة الرهبانية، أو حتي بعض الآباء الذين يريدون لأبنائهم سلوك هذه الحياة [1]، وفي كثير من الأحيان، كان بعض الآباء يختارون لأبنائهم الالتحاق بسلك الرهبنة دورن رغبة من الأبناء، لذا فرضت القوانين أيضًا ضرورة قبول الأبناء بهذا الأمر [2]. ولذلك شددت قوانين الأديرة علي أن الأطفال لا يتم قبولهم في رباط الاخوة (نساك ورهبان)، إلا بعد إخضاعهم لبعض الاختبارات، حتي لا يستهان بسيرة العبادة[3]، ولكي يكون في مقدوره أثناء هذه الاختبارات أن يتراجع إذا لم يستطع تقبل حياة النسك والوحدة[4].

لم يحدد سن معين لبدء قبول نذر الأطفال بالتبتل [5]، فيقبل الأطفال في أي سن، لكن بعد الحصول علي موافقة الأب أو ولي الأمر والطفل [6]. يبدأ المشرف علي هؤلاء الأطفال أولًا بتدريبهم علي ألا يشغلون أنفسهم بالتفكير في ملذات الحياة والجسد والسعي لإرضاء شهواتهم، ويعلمهم أن يقتدوا في ذلك بسير الصالحين. وبعد التأكد من هؤلاء الأطفال ومعرفة نوايا قلوبهم، يتم قبول نذرهم، أمام آباء الكنيسة ليشهدوا علي إقرارهم بحفظ أجسادهم وأنفسهم طاهرة بلا دنس، فلا يكون لأي واحد منهم حجة في ما بعد إذا أراد التراجع عن نذره [7].

(١)باسيليوس، نسكيات، ج1، ص216.

(٢)الأمين أبو سعده، الديرية الإجبارية في الدولة البيزنطية، مجلة كلية الآداب، العدد 43، مج 1، جامعة المنصورة، 2008م، ص266.

(٣)باسيليوس، نسكيات، ج1، ص129.

(٤)باسيليوس الكبير، حياته – نسكياته – قوانينه الكنسية، ترجمة أنطونيوس السرياني، دير السيدة العذراء (السريان)، ط.2، القاهرة 2003م، ص139.

(٥)(مت 19 :14).

(٦)باسيليوس، حياته، ص134 – 135.

(٧)باسيليوس، حياته، ص138.

يعين الدير مشرفًا مسئولًا عن الصبية، علي أن يكون هذا المشرف أحد الشيوخ الفضلاء ذوي الخبرة، الذين يتمتعون بالصبر وطول الإناءة، لكي يتحمل طبيعة تصرفات الأطفال وميلهم للعب واللهو، فيتعامل معهم بروح الأب مع صغاره، يصلح من أخطائهم بحكمة، فإذا أساء أحد الصبية للآخر، يكلفه المعلم بخدمة وأعمال زائدة عن التي يتولاها يوميًا ليؤدبه، وإذا أخطأ وسب زميله بكلمة قبيحة أو ادعي كذبًا علي أحدهم، كان يعاقب بإمساك البطن واللسان [1]. فقد كانت مهمة المعلم داخل الدير لا تقتصر فقط علي تعليمهم قواعد وأصول القراءة والكتابة، بل تربيتهم وتعويدهم علي السلوك الحسن [2].

تتوافر لدينا بعض المعلومات من كتابات القديس باسيليوس حول النظام اليومي المقرر للطفل داخل المدارس الديرية، فيبدأ نهاره بالذهاب إلي معلمه، لتلقي المقرر المفروض عليه، في بداية الأمر يبدأ المعلم في تعليم الطفل الحروف الأبجدية، فيكتبها لتلاميذه بخط كبير وواضح لينقلوها عنه، ثم يقوم المعلم بقراءة هذه الأحرف وينطقها بوضوح ويرددها الأطفال خلفه حتي يحفظوها جيدًا [3].

عارضت بعض الآراء أن تدرس العلوم الكلاسيكية المتشبعة بروح الوثنية للأطفال داخل المدارس الديرية، خوفًا من أن تؤثر علي إيمانهم، فقد أظهرت الدسقولية (تعاليم الرسل) Didasclia

Apostolarum معارضة شديدة تجاه هذه العلوم وبخاصة الفلسفة، التي كانت تراها تضليلًا للقلوب والعقول، وعلي المسيحي المؤمن أن يعتمد الكتاب المقدس ليس فقط في الصلاة والأمور الدينية، بل في

---

(١)باسيليوس، نسكيات، ج1، ص216 – 217.
(٢)باسيليوس، نسكيات، ج1، ص216 – 217.
(٣)جوزف صغبيني المخلصي، القديس باسيليوس رائد إجتماعي (البحث الثالث)، سلسلة الفكر المسيحي بين الأمس واليوم، القديس باسيليوس الكبير (حياته – أبحاث عنه – مواعظه)، جمعه ونظمه الأب إلياس كويتر المخلصي، منشورات المكتبة البولسية، ط. 1، بيروت 1989م، ص137 ؛ أنطونيوس، التربية، ص84 ؛ Davies, womb, p.77

كل شئ آخر في الحياة، وخاصة أن مثل هذه العلوم قد استخدمها الوثنيون كأداة لمحاربة المسيحية [1]. وقد اتخذ ذهبي الفم نفس الموقف المعادي تجاه العلوم الكلاسيكية، وكان يرفضها ويرفض تدريسها للأطفال رفضًا تامًا، حتي لا يتأثرون بمثل هذه القيم الباطلة [2].

وافقت بعض الآراء الأخري علي تدريس هذه العلوم لهم، ولكن مع بعض التحفظات [3]، فنجد موقف الآباء الكبادوك Cappadocian Fathers الثلاثة العظام [4] (باسيليوس الكبير أسقف قيصرية، شقيقه غريغوريوس أسقف نيصص، وغريغوريوس النزينزي الناطق بالإلهيات) أقل تحفظًا تجاه العلوم الكلاسيكية، فقد سمحوا بتدريسها للطلاب، ولكن مع تحذير المعلمين بأن ينتقوا ما يتناسب من هذه العلوم مع تعاليم المسيحية[5].

وبالفعل تلقي الأطفال في المدارس الديرية دروسًا في العلوم الدنيوية أو العلمانية، مثل التاريخ الذي اعتبر أبًا لتلك العلوم، وكذلك في الأحياء، والموسيقي التي كانت ذات نفع وفائدة في الألحان الكنسية. والمنهج الذي وضعه باسيليوس لم يكن يتضمن تدريس " العلوم الإنسانية " مثل الفلك أو الرياضيات [6].

---

(١)أنطونيوس، التربية، ص17.

(٢)ذهبي الفم، الزواج والحياة العائلية، ترجمة القمص إشعيا ميخائيل، مشروع الكنوز القبطية، دار يوسف كمال للطباعة، ط.القاهرة 2003م، ص 134 – 135 ؛ داوني، أنطاكية، ص 191 ؛ أنطونيوس، التربية، ص16.

(٣)باسيليوس، نسكيات، ج1، ص217.

(٤)الآباء الكبادوك الثلاثة العظام: أو الأقمار الثلاثة، عاشوا في عصر واحد في كبادوكيا بآسيا الصغري (في تركيا حاليًا)، لهم دورهم الفعال في اللاهوت المسيحي و مقاومة الأريوسية بعد القديس أثناسيوس الرسولي. www.st-takla.org

(٥)أنطونيوس، التربية، ص16.

(٦)أنطونيوس، التربية، ص84.

لم تكن العلوم الكنسية والمدنية هي كل التعليم والخبرات التي يتلقاها الطفل داخل المدارس الديرية، بل اهتم الدير أيضًا بأن يقدم لهم ويكسبهم بعض الخبرات العملية التي كانت ستساعدهم بعد تخرجهم في العمل لكسب أقواتهم [1]. فكان التلاميذ يتعلمون الزراعة، الحياكة، البناء، الشغل بالجلد، ومهارات أخري كثيرة فكان كل طالب يعمل حسب ما يظهره من تميز في أحد هذه الأشغال [2].

لم تكن المدارس الديرية هي الوحيدة التي تستقبل الأطفال لتعليمهم، بل ظهرت عدة مدارس عرفت باسم "المدراس الإيبارشية"، وقد أقيمت داخل الإيبارشيات [3]، وقد أسس واحدة من هذا المدارس بروتوجينس Protogenis في القرن الرابع الميلادي، والتي كان يُدرس فيها التعاليم المسيحية واللاهوتية، وبجوارها كان يعلم تلامذته الكتابة والاختزال [4].

يبدو أن هذه المدارس سواء الديرية أو الإيبارشية كانت تنشأ نتيجة مجهود شخصي لبعض الأساقفة أو الكهنة، وليست نشاطًا عامًا بين جميع الأديرة، فكانت ذات تأثير محدود،كما أن غالبية من كانوا يقصدونها من أطفال كانوا ممن يريدون بالفعل أن ينذروا أنفسهم للحياة الرهبانية [5].

---

(١)أنطونيوس، التربية، ص84.

(٢)أنطونيوس، التربية، ص84 – 85.

(٣)الإيبارشية Parish: كلمة يونانية معناها المقاطعة أو المديرية، وهي كلمة تطلق علي المنطقة التي يرعي شعبها مطران أو أسقف ويساعده الكهنة والشمامسة. www.st-takla.org

(٤)أنطونيوس، التربية، ص85.

(٥)أنطونيوس، التربية، ص85.

كان هناك أيضًا بجوار المدارس الديرية والإيبارشية نوع آخر من المدارس التعليمية، وهي " المدارس الإكليريكية Catechetical schools "، وهي مدارس تقدم مستوي متقدمًا من التعليم اللاهوتي، وكذلك العلوم الكلاسيكية [1].

اعتبرت " مدرسة الإسكندرية " من أشهر المؤسسات التعليمية التي شيدت في فترة باكرة جدًا [2]، وصارت في ذروة شهرتها في منتصف القرن الثاني، وصارت أهم مركز لدراسة وتعليم اللاهوت المنهجي. وثاني هذه المؤسسات " مدرسة أنطاكيا " أشهر المراكز للمعرفة اليونانية، ودرس طلابها الفلسفة والبلاغة[3]، اعتمدت علي المنهج النقدي الحرفي في تفسير الكتاب المقدس [4]، علي العكس من مدرسة الاسكندرية.

---

(١)أنطونيوس، التربية، ص22.

(٢)مدرسة الإسكندرية الإكليريكية: أنشاها القديس مرقس الرسول عندما جاء إلي مصر مبشرًا بالمسيحية عام 61م، فوجد عاصمتها الإسكندرية مركزًا هامًا للثقافة الوثنية، فكان لابد أن يقيم مدرسة لاهوتية لتثبيت الناس في الدين وترد على أفكار الوثنيين، وعين لرئاستها العلامة يسطس. وقد تميزت باستخدامها المنهج الرمزي في تفسير الكتاب المقدس (أي شرح آيات الكتاب المقدس بطريقة روحية وإعلان ما تحمله هذه الآيات من معان وراء الرموز). تخرج فيها العلامة بنتيوس

(180م)، إقليمندس السكندري، ديديموس الضرير، وأوريجانوس الذي يرجع إليه الفضل في تطويرها وتحديثها. www.st-takla.org

(٣)مدرسة أنطاكيا: تم تأسيسها في ما بين عامي (240 – 312م) علي يد الكاهن اللاهوتي لوسيان Lucian المتوفي عام 313م، تخرج فيها يوحنا ذهبي الفم وإبيفانيوس وكيرلس الأورشليمي.www.st-takla.org

(٤)أنطونيوس، التربية، ص23.

- **تعليم الفتيات :**

شدد السيد المسيح علي المساواة الروحية بين الرجل والمرأة، فكان يتحدث إلي النساء ويشفيهن ويغفرلهن ويعلمهن مثلما فعل مع الرجال [1]. وجاء في سفر دنيال ذكر امرأة تقية تدعي "سوسنة ابنة حلقيا" والتي تزوجت من رجل يدعي " يواقيم الإسرائيلي "، وقد حرص والدا سوسنة علي تعليم وتربية ابنتهما من الصغر [2]، فحرصا علي تقلينها تعاليم موسي النبي وشريعته [3]. وقد اعتمد آباء الكنيسة أمثال أوريجانوس وجيروم علي هذه الأمثلة ليؤكدوا علي تحمل الوالدين مسئولية بناتهم[4].

عادة لم تكن الفتيات البيزنطيات تذهبن إلي المدارس، لكن تلقت بنات الطبقة العليا والأسر الأرستقراطية والثرية تعليمًا جيدًا، وعادة كانت نسبة الفتيات اللاتي تلقين تعليمهن أقل من عدد الفتيان نظرًا لضعف مشاركتهن في الحياة العامة، فالوظائف المتاحة في الدولة كانت متاحة للرجال فقط [5]، ولم يكن من المعتاد حتي أن تعمل المرأة معلمة في أي مرحلة من المراحل التعليمية الثلاثة [6]، وكان الهدف

---

(1) Tkacz, C., *Women in Bible*, Women and gender in medieval Europe: An Encyclopedia, editor, Schaus, M., Routledge, Taylor and Francis, New York, 2006, p.73.

(٢)(دا 13 :1 – 3)

(3) Tkacz, women, p.73.

(4) Tkacz, women, p.73.

(٥)رنسيمان، الحضارة البيزنطية، ترجمة عبد العزيز جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط. 3، القاهرة، 2010م، ص235؛ Kalogeras, Childhood, p.231; Kalogeras, education, p.9

(6) Kalogeras, childhood, p.248.

الأساسي لتعلم الفتاة أن تكون قادرة علي رعاية شئون أسرتها وتربية أطفالها ونقل ما تعلمته إليهم، وبشكل خاص تلقين هذه العلوم لبناتهن [1].

صار تعليم الفتيات يبدأ بعد بلوغهن سن السادسة أو السابعة كما حدث مع البنين [2]، وغالبًا ما يتم داخل المنزل علي يد مدرسيين خصوصيين، أو علي يد أحد أفراد العائلة المتعلمين كالجدة أو الأم مثلما حدث مع القديسة ماكرينا الصغري، والقديسة ماترونا البيرجية Matrona of Perge[3] التي اهتم والديها بتعليمها وتثقيفها في المنزل حتي زواجها من رجل يدعي دومتيانوس[4]Dometianos.

كان تعليم ماكرينا الصغري وماترونا ومثيلاتهن من الفتيات داخل المنزل دليلًا علي الافتقار لوجود مدارس رسمية لتعليم الفتيات وليس لندرة المدارس في مدنهن [5].

---

(1) Kalogeras, childhood, p.212; Kalogeras, education, p.9 – 10; Bell, S.G., *Book ownership*, Women and gender in medieval Europe: An Encyclopedia, editor, Schaus, M., Routledge, Taylor and Francis, New York, 2006, p.87.

(2) Kalogeras, childhood, p.212.

(٣)ماترونا البيرجية: ولدت في مدينة بيرجي احدي مدن بمفيلية (آسيا الصغري) في القرن الخامس الميلادي. تزوجت من رجل ثري يدعي دومتيانوس وأنجبت منه طفلة اسمتها ثيودوتا

Theodota، وبعد ارتحالهم إلي القسطنطينية واستقرارهم هناك في سن الخامسة والعشرين التقت اثنين من التقيات في الكنيسة هن يوجينيا وسوزانا، وقد اقتدت بهن ماترونا حيث بدات حياة الزهد والصلاة والتقشف إرضاء لله، بعدها قررت ترك عائلتها، وتخفت بملبس الرهبان والتحقت بأحد أديرة الرهبان مدعية أنها شاب خصي وقامت بقص شعرها، وبعد أن قضت ماترونا 75 عامًا في الرهبنة تنيحت في سن المائة بهدوء. www.phoenicia.org

(4) Kalogeras, childhood, p.130.
(5) Kalogeras, childhood, p.130.

كذلك الحال مع أثينايس Athenais[1] (الإمبراطورة يودوكيا Eudocia) قد تعلمت كل أنواع العلوم عن والدها السوفسطائي الأثيني ليونتيوس، ومنحها تدريبًا شاملًا في البلاغة والأدب والفلسفة، وقد تنبأ لها والدها بمستقبل عظيم. فقد امتلكت أثينايس ملكة الحفظ التي ساعدتها في حفظ أشعار هوميروس Homer والشاعر الغنائي اليوناني بندار Pindar التي كان يقرأها عليها والدها [2].

أسس القديس باسيليوس مدارس داخل الأديرة لتعليم البنات مثلما فعل مع البنين، بعد أن رُسّمَ أسقف علي قيصرية، واستقبلت هذه المدارس الفتيات من مختلف الأعمار، علي شرط أن تكون بعيدة عن مدارس البنين [3]. وكانت هذه المدارس تقبل الفتيات اللاتي يقدمهن آباؤهم للالتحاق بهذه المدارس أو الفتيات اليتيمات اللاتي لا معيل لهن [4].

---

(١) أثينايس: هو الاسم القديم للإمبراطورة يودوكيا زوجة الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني، فقبل زواجها قام الأسقف أتيكوس بتعميدها وغير اسمها إلي يودوكيا الذي يعني "هبة أو إحسان".
Greatrex, Eudocia, p.1

(٢) سقراتيس سكولاستيكوس، التاريخ الكنسي، ترجمة إيه. سي. زينوس، تعريب الأب بولا ساويرس، مراجعة الأنبا إبيفانيوس (أسقف ورئيس دير الأنبا مقار) سلسلة المؤرخون الكنسيون الأوائل، مشروع الكنوز القبطية، ط. 1، 2017م، ص 719 ؛ جيبون، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، ترجمة محمد سليم سالم، ج 2، الهيئة المصرية للكتاب، ط. 2، القاهرة 1997م، ص168.

(3) Kalogeras, childhood, p.150.

(4) Kalogeras, childhood, p.222 – 223.

- **الخاتمة:**

مثل الأطفال جزءًا هامًا من حياة المجتمع البيزنطي ، وقد تناولت هذه الدراسة التعليم الذي كان يعد أحد الركائز الهامة التي تعتمد عليها الدولة، والأشخاص الذين يريدون العمل في دوائر الدولة الرسمية كان التعليم بالنسبة لهم هو البوابة التي يعبرون من خلالها للوصول لهذه الوظائف وللمناصب العليا في الدولة، فعلي قدر تعليم الشخص كان يحصل علي عمل جيد ويستطيع تقلد مكانة تليق بتحصيله العلمي والثقافي. وكان تعليم الأطفال في مراحله الأولي يقع عبئه علي الأسرة حيث تتولي الأم أو الأب أو أحد الأشقاء الكبار مهمة تعليم الطفل مبادئ القراءة والكتابة، بعدها يستطيع الالتحاق بالمدرسة الابتدائية.

لم يكن بمقدور جميع الأسر البيزنطية إرسال أبنائهم للتعلم في المدارس، وإن أرسل الطفل للمدرسة الابتدائية، كثيرًا ما كان لا يصل إلي المرحلة الثانوية أو الجامعية، لذلك نجد أن من وصل إلي هذه المراحل العليا كان من أبناء الأسر الإمبراطورية والأرستقراطية وأبناء الطبقة العليا في المجتمع البيزنطي.

تميز المجتمع البيزنطي بوجود نوعين من التعليم والمدارس، فقد ظهر نوع آخر من المدارس عرفت باسم " المدارس الديرية ". التي أسست أولًا بغرض تعليم الرهبان القراءة والكتابة ليتمكنوا من قراءة الكتاب المقدس ونسخ آياته، وبعد ذلك قبلت المدارس الديرية بانضمام الأطفال إليها لكنها وضعت شرط مهم لذلك، حيث يجب أن يتم هذا بموافقة ولي أمر الطالب أو الوصي عليه، منعًا للقيل والقال من أن أحد الأديرة يجبر الأطفال الصغار علي الالتحاق به وإجبارهم علي أن يصبحوا رهبانًا.

كانت الفتيات في بعض الأحيان تدخلن إلي أديرة الراهبات لتلقي التعليم والتربية المناسبة هناك، فلم توجد مدارس مدنية لتعليمهن، ونسبة المتعلماتأقل من الفتيان لضعف مشاركتهن في الحياة العامة.

قائمة المصادر والمراجع

اولًا : المصادر العربية والمعربة

١. **الكتاب المقدس.**

٢. **ابن كبر** (شمس الرئاسة أبو البركات): مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة، تعليق ميخائيل مكسي اسكندر، مكتبة المحبة ط.القاهرة 2003م.

٣. **باسيليوس الكبير:**

- أيام الخليقة الستة، ترجمة القمص بيشوي الأنطوني، مشروع الكنوز القبطية، مطبعة دير البرموس، دار القديس يوحنا الحبيب للنشر، ط.1، القاهرة 1996م.
- تعاليم آبائية، ج1، ترجمة جورج عوض إبراهيم، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية (مؤسسة القديس أنطونيوس)، ط.1، القاهرة 2016م.
- حياته – نسكياته – قوانينه الكنسية، ترجمة أنطونيوس السرياني، دير السيدة العذراء (السريان)، ط.2، القاهرة 2003م.
- نسكيات القديس باسيليوس، إعداد القمص تادرس السرياني، ج3، دير السيدة العذراء مريم (السريان)، ط. البحيرة (وادي النطرون) 2003م.

٤. **سُقراتيس سكولاستيكوس:** التاريخ الكنسي، ترجمة إيه. سي. زينوس، تعريب الأب بولا ساويرس، مراجعة الأنبا إبيفانيوس (أسقف ورئيس دير الأنبا مقار) سلسلة المؤرخون الكنسيون الأوائل، مشروع الكنوز القبطية، ط.1، 2017م.

٥. **غريغوريوس النيصي:** حياة القديسة ماكرينا، تعريب الأب حنا فاخوري، سلسلة النصوص الكنسية، منشورات المكتبة البُولسية، ط.1، بيروت 2001م

٦. **يوحنا ذهبي الفم:**

– الزواج والحياة العائلية، ترجمة القمص إشعيا ميخائيل، مشروع الكنوز القبطية، دار يوسف كمال للطباعة، ط.القاهرة 2003م.
– تفسير رسالة بولس الرسول إلي أهل أفسس، ترجمة حكيم سعيد يعقوب، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية (مؤسسة القديس أنطونيوس)، ط.القاهرة 2016م.

– تفسير رسالة بولس الرسول إلي فليمون، ترجمة رأفت موسي ذكري، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية (مؤسسة القديس أنطونيوس)، ط.القاهرة 2005م.
– شرح سفر التكوين، إعداد القس أغسطينوس البرموسي، دير البرموس، سلسلة كنوز مخطوطات البرموس، دار نوبار للطباعة، ط.1، القاهرة 1999م.

ثانيًا : المراجع الأجنبية

7. **Bell, S.G.,***Book ownership*, Women and gender in medieval Europe: An Encyclopedia, editor, Schaus, M., Routledge, Taylor and Francis, New York, 2006.
8. **Chew, K.,***Virgins and Eunuch: Pulcheria, Politics and the death of Emperor Theodosius II*, Zeitsch rift fur Alte Geschichte, vol.55, No.2, pp.207 – 227.
9. **Davies, E.,***From womb to the tomb: The Byzantine life course* (A.D. 518 – 1204), Ph.D. of Philosophy, Birmingham University, 1988.
10. **Greatrex, G.,**

- *Aelia Eudocia* (Wife of Theodosius II), Ottawa University, 2004. An online Encyclopedia of Roman Emperors, in www.roman-emperors.org
- *Pulcheria(Wife of the Emperor Marcian)*, Ottawa University, 2004. An Online Encyclopedia of Roman Emperors, in www.roman-emperors.org

11. **Kalogeras, N.M.,**

- *Therole of parents and kin in the education of Byzantine children*, hoping for Continuity: Childhood, Education and Death in Antiquity and the Middle Ages, ed. K. Mustakallio, J. Hanska, H.-L. Sainio, V. Vuolanto, Rome: Institutum Romanum Finlandiae, 2005.

- *Byzantine childhood education and its social role from the sixth century until the end of Iconoclasm*, Ph.D. of philosophy, Department of history, Chicago University.

12. **Kazhdan, A.,** *The Oxford Dictionary*, Dumbarton Oaks Papers, 3Vols, Oxford University Press, 1991.
13. **Moffatt, A.,** *The Byzantine child*, Social Research, The new school publishing, Vol.53, No.4, 1986, pp.705 – 723.
14. **O'Roark, D.A.,***Urban family structure in Late Antiquity as evidenced by John Chrysostom*, Ph.D. of philosophy, The Ohio State University, 1994.
15. **Tkacz, C.,***Women in Bible*, Women and gender in medieval Europe: An Encyclopedia, editor, Schaus, M., Routledge, Taylor and Francis, New York, 2006.

ثالثًا : المراجع العربية والمعربة

١٦. **الأمين عبد الحميد أبو سعده:** الديرية الإجبارية في الدولة البيزنطية، مجلة كلية الآداب، العدد43، مج1، جامعة المنصورة، 2008م.
١٧. **أنطونيوس فهمي جورج:** التربية عند آباء البرية (آباء الكنيسة كمربيين)، سلسلة إخثوس، ط.القاهرة، 1995.
١٨. **بولس الفغالي** (الخوري)**:**يوحنا الذهبي الفم في المئوية السادسة عشرة لوفاته، سلسلة آباؤنا والمعلمون، منشورات المكتبة البولسية، ط.1، بيروت 2008م.
١٩. **جوزف صغبيني المخلصي:** القديس باسيليوس رائد إجتماعي (البحث الثالث)، سلسلة الفكر المسيحي بين الأمس واليوم، القديس باسيليوس الكبير (حياته - أبحاث عنه - مواعظه)، جمعه ونظمه الأب إلياس كويتر المخلصي، منشورات المكتبة البولسية، ط.1، بيروت 1989م.

٢٠. **جيبون** (إدوارد): **اضمحلال** الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، ترجمة محمد سليم سالم، ج 2، الهيئة المصرية للكتاب، ط.2، القاهرة 1997م.
٢١. **جيورجيو** (فيرجيل): القديس يوحنا الذهبي الفم، تعريب الأسقف جبران الرملاوي، تعاونية النور الأرثوذكسية للنشر والتوزيع، ط.بيروت 2011م.
٢٢. **داوني** (جلانفيل)**:** أنطاكية في عهد ثيودوسيوس الكبير، ترجمة ألبرت بطرس، مؤسسة فرانكلين للطباعة النشر، ط.بيروت 1968م.
٢٣. **ديورانت** (ول وايرْيل): قصة الحضارة (عصر الإيمان)، ترجمة محمد بدران، مج 4، ج 1، ط.بيروت 1949م.
٢٤. **رنسيمان** (ستيفان)**:** الحضارة البيزنطية، ترجمة عبد العزيز جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط.3، القاهرة، 2010م.

٢٥. **سعيد عبد الفتاح عاشور:** أوربا العصور الوسطي (التاريخ الحضاري)، ج 2، مكتبة الأنجلو المصرية، ط.القاهرة 2009م.
٢٦. **عبد العزيز رمضان:** دراسات في التاريخ البيزنطي، كلية الآداب، جامعة عين شمس، 2015م.
٢٧. **منسي يوحنا (القمص):** خطيب المدينتين (يوحنا ذهبي الفم)، مطبعة النيل المسيحية، ط.القاهرة، ب.ت.